

حوار شامل في الذكرى العاشرة لإنتفاضة الأقصى
مع القائد المناضل د. مروان البرغوثي
مهندس الإنتفاضة ورمز المقاومة
مهندس وثيقة الأسرى للوفاق الوطني



منشورات

الحملة الشعبية لإطلاق سراح القائد المناضل مروان البرغوثي وكافة اسرى
رام الله - فلسطين

حوار شامل في الذكرى العاشرة لإنتفاضة الأقصى
مع القائد المناضل د. مروان البرغوثي
مهندس الإنتفاضة ورمز المقاومة
مهندس وثيقة الأسرى للوفاق الوطني

بعد مرور عشر سنوات على إنطلاق إنتفاضة الأقصى فإن ثمة من يرى أن هذه الانتفاضة كانت سبباً في التدمير الذي حصل لاحقاً في الضفة وغزة، وأنها كانت سبباً في الفوضى التي تقول السلطة الفلسطينية أنها تمكنت في السنوات الاخيرة من التعافي منها. هل تتفق مع هذا الرأي؟ وإلى أي مدى كانت الانتفاضة سبباً في الفوضى الأمنية التي شهدتها الأراضي الفلسطينية لاحقاً؟

أولاً: الانتفاضة انطلقت بإرادة وبمشاركة الشعب الفلسطيني ولم تكن نتاج قرار للقيادة الرسمية. وعبرت الانتفاضة عن رفض شعبنا للاحتلال والإستيطان وتهويد القدس. ورداً على فشل مفاوضات كامب ديفيد عام 2000 وانهايار عملية السلام.

ثانياً: الانتفاضة هي صفحة مشرقة في سجل النضال والكفاح الفلسطيني المستمر منذ مائة عام. وسجل الشعب الفلسطيني خلال الانتفاضة صموداً اسطورياً وبطولات عظيمة. وقدم تضحيات جسيمة في سبيل حريته وعودته واستقلاله.

وثالثاً: الذي سبب التدمير الهائل هو الاحتلال وليس الانتفاضة. وقد عبر الاحتلال الصهيوني عن طبيعته الوحشية في هذه الانتفاضة من خلال تدمير مقرات السلطة الوطنية والاجتياحات ونشر مئات الحواجز والاعتقالات والاعتقالات، ومجزرة مخيم جنين في نيسان 2002 كانت أكبر دليل على ذلك.

رابعاً: الشعوب لا تحصل على استقلالها وحريتها بدون تضحيات. والطريق إلى الحرية والكرامة والعزة معبدة بالدماء والآلام والعذابات. وقد أثبت شعبنا في هذه الانتفاضة مرة أخرى أنه شعب عظيم لديه مخزون نضالي لا ينضب ولا يجف.

خامساً: أنا لم أسمع ان أهالي الشهداء والأسرى ومن تدمرت بيوتهم وجرحوا ولحقت اضرار بممتلكاتهم ومصالحهم أنهم يَحْمَلُوا المسؤولية للانتفاضة بل هم ناقمون على الاحتلال المجرم الذي يجب أن يقدم قاتنه لمحاكم دولية خاصة بمجرمي الحرب.

سادساً: الذين حملوا الانتفاضة على أكتافهم وقدموا التضحيات قدموها طوعاً وبارادتهم الحرة وهم على قناعة ان فلسطين والقدس تستحقان مثل هذه التضحيات وأكثر بكثير.

أما موضوع الفوضى الأمنية فهي أحد نتائج العدوان الإسرائيلي الذي أدى لتدمير مقرات السلطة الوطنية ومقرات الأجهزة الأمنية واعتقال واستشهاد هذا العدد الكبير من أبناء شعبنا. وبسبب الحصار وحرب التجويع. إضافة إلى تعدد وصراعات الأجهزة الأمنية نفسها وعجزها عن القيام بمهامها. كما أن البعض كان يغذي حالة الفوضى لخدمة مصالح خاصة. والبعض استخدم بعض المجموعات لتحقيق هذه الغايات. والمسئول عن الفوضى الأمنية ليست الانتفاضة مطلقاً. وعلى العكس. الانتفاضة

ولدت الأمن ودافعت عن الحرمات والأماكن وحياة الناس. وكانت في سبيل حريتهم واستقلالهم كما أنها دافعت عن السلطة وثبتت وجودها.

هل ترى أن مسببات اندلاع انتفاضة جديدة ما زالت قائمة، ألا تتفق مع رأي الخبراء وحتى الكثير من المسؤولين بأن الشعب الفلسطيني مرهق وغير قادر على انتفاضة جديدة، علماً بأن هناك من يرى أن الشعب الفلسطيني بات حتى ناقماً على الانتفاضات؟

السؤال بسيط هو لماذا اندلعت الانتفاضة الأولى والثانية؟

أليس السبب هو وجود الاحتلال وبهدف الانعتاق منه وتحقيق الحرية والعودة والاستقلال؟ أعتقد أنه كذلك، وبالتالي طالما أن الاحتلال موجود ومستمر وتهويد القدس واحتلالها مستمر والاستيطان موجود ومتواصل والحصار والحواجز والأسرى وفنشل المفاوضات وعملية السلام، ماذا يمكن أن نتوقع؟؟

السبب الجوهري والأساسي للانتفاضتين هو استمرار الاحتلال وعدم رحيله، وبالتالي فإن الشعب الفلسطيني سيواصل نضاله وكفاحه ومقاومته للاحتلال حتى يزول، تارة على شكل انتفاضة، وأخرى على شكل آخر. وبالمناسبة إنني أعتقد أن من المبكر الحديث عن انتفاضة جديدة، وخاصة في ظل حالة الانقسام السائدة في الحالة الفلسطينية وأنا أعرف أن الانتفاضات لا تنتظر أحد ليدعو لها، ولا تندلع لأن فلان أو إعلان أو هذا القائد أو ذلك دعا لها، وهي بخلاف الحرب أو العملية العسكرية التي يقررها قائد أو حاكم أو فصيل ما، لأن الانتفاضة يقررها الشعب بأسره وتنطلق بإرادته وهو الذي يختار الوقت المناسب والوسائل والأساليب المناسبة لكل مرحلة، ومع احترامي للخبراء والمسؤولين فإنني أقول إن الخبراء والمسؤولين والقيادة الرسمية لم تتوقع لا الانتفاضة الأولى ولا الثانية، أما القول أن الشعب الفلسطيني مرهق ومتعب وناقم على الانتفاضات فهذا ظلم

وافتراء على الشعب الفلسطيني العظيم صانع أطول ثورة مسلحة في التاريخ المعاصر وصاحب أعظم وأكبر انتفاضتين في المنطقة. والذي يواجه أشرس عدو واستعمار استيطاني صهيوني لا مثيل له في تاريخ الاستعمار الحديث وصد في وجهه وقاومه ولا زال بثبات وإيمان لا يتزعزع بحقه في أرض الآباء والأجداد. إن الشعوب لا تتنازل عن حقوقها بسبب المعاناة والعذابات مطلقاً مهما اشتدت. ولا يوجد شعب في التاريخ تنازل عن حقوقه في أرض وطنه وفي حقه بالحرية والاستقلال بسبب حجم التضحيات وشدة المعاناة وأكبر مثال على ذلك هو الشعب الفلسطيني الذي يواصل مسيرته التحررية على مدار عشرات السنين. والشعوب لا تستسلم أبداً وإنما يمكن أن تستسلم زعيم أو حزب أو حكومة أما الشعوب فلا تتنازل عن حقوقها ولا تستسلم. والأجيال الجديدة مليئة بالطاقة والحيوية والاستعداد للتضحية. وفي كل مرة يفاجئ الشعب الفلسطيني الاحتلال والعالم بأسره بمدى صلابته وتمسكه بحقوقه الوطنية واستعداده للتضحية في سبيلها. وفي النهاية من يرغب أن لا تكون هناك مقاومة أو انتفاضة فإن عليه العمل من أجل إنهاء الإحتلال وتمكين الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

يعتبر قادة فلسطينيون وعرب أن عسكرة الانتفاضة كان خطأ إستراتيجياً، ما رأيك؟

انطلقت الانتفاضة كانتفاضة شعبية سلمية في الشهور الاولى والاحتلال الصهيوني هو الذي اعتدى وارتكب مجزرة في المسجد الاقصى. في ذلك اليوم الذي اعقب السطو المسلح الذي قاده شارون للمسجد الاقصى بصحبة ثلاثة آلاف جندي من جيش الاحتلال لم يكن في الاقصى وساحات القدس اي مسلح أو سلاح فلسطيني حتى باعتراف قادة الاحتلال. ومع ذلك ارتكبوا مجزرة بحق المصلين. في اليوم التالي السبت 29/9/2000 خرجت الجماهير الفلسطينية بمئات الآلاف في مختلف محافظات الوطن وفي

داخل الخط الاخضر استنكارا للمجزرة وطوال الايام. التالية فماذا كانت النتيجة؟ استشهد 91 فلسطيني في الاسبوع الاول دون مقتل اسرائيلي واحد ودون اطلاق رصاصة واحدة. وهل كان الفلسطينيون داخل مناطق ال48 يحملون سلاحا عندما انهمر الرصاص على صدورهم العارية وقتل ثلاثة عشر شهيدا؟؟

لقد اطلق الاحتلال أكثر من مليون رصاصة في أسبوعين ولم يلجأ لإستخدام الرصاص المطاطي أو قنابل الغاز المسيل للدموع أو وسائل تقليدية أخرى. وإنما كان لديه خطة «حقل الشوك» التي تدرب عليها. ما أن انطلقت الانتفاضة كمقاومة شعبية سلمية حتى بدأ يقتل العشرات يوميا بقرار من الحكومة وقادة الجيش. وقد حاول جيش الاحتلال أن يعوض انسحابه المهين والمذل من جنوب لبنان وحت جنح الظلام بفضل المقاومة اللبنانية. بالثار من الفلسطينيين. وكذلك لاستعادة دوره الذي تراجع في الاراضي الفلسطينية بعد اقامة السلطة الوطنية حيث لم يعد يستبيح الارض الفلسطينية كما كان طوال سنوات الاحتلال. وفي ظل الوحشية الاسرائيلية والعدوان وحرب الاغتيال والقتل التي نفذها الاحتلال كان لا بد من إسناد الانتفاضة وحماتها بمقاومة مسلحة تستهدف الاحتلال الاسرائيلي. وكان موقف المقاومة منذ بدايتها الدعوة لتجنب المدنيين من الجانبين ولكن الاحتلال قتل ألف طفل خلال الانتفاضة وقتل مئات النساء ومعظم الشهداء والجرحى هم من المدنيين. والمقاومة حق مشروع لشعب يعيش تحت الاحتلال منذ عشرات السنين وأرضه تسلب يوميا وتقام المستوطنات وتتوسع وتصادر الاراضي ويسيطر الاحتلال على كل مجالات الحياة. ولولا الانتفاضة والمقاومة لما قرر شارون رحيل احتلاله ومستوطنيه عن قطاع غزة في حين فشلت المفاوضات والاتفاقات من إزالة «كرفان» واحد أو مستوطنة صغيرة جدا.

ما هي أهم دروس الانتفاضة الثانية؟

الدرس الاول للانتفاضة الثانية أن على هذه الارض شعب عظيم اسمه الشعب العربي الفلسطيني يتمسك بحقه في تقرير المصير وفي الحرية والعودة والاستقلال وأنه يرفض التعايش مع الاحتلال.

والدرس الثاني : أن أي حل لا ينهي الاحتلال والانسحاب لحدود 67 بما في ذلك القدس المحتلة ويضمن حق اللاجئين في العودة وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة والإفراج الشامل عن الاسرى دون قيد او شرط او تمييز مصيره الفشل ولن يخدع الشعب الفلسطيني ولن يتعايش معه.

والدرس الثالث: أن الخزون النضالي للشعب لا ينضب أبداً وأن الرهان على تعب الشعب الفلسطيني ومعاناته وعذابه سيقوده للتنازل عن حقوقه الوطنية وثوابته الوطنية هو رهان خاسر ولا أساس له.

والدرس الرابع: أن شعبنا تعلم من تجربة النكبة المريرة أن الرحيل القسري عن هذه البلاد لن يقبل تكراره أبداً مهما بلغت شراسة العدوان ووحشية الاحتلال, ومهما قتل أو أصاب أو اعتقل ودمر وأن شعبنا تعرض لاختبار صعب وقاس في هذه الانتفاضة وصمد صمودا اسطوريا ولم يرحل ولن يرحل أبدا, وسيبقى لأبد الأبدین وحتى قيام الساعة في هذه البلاد التي هي أرض الآباء والأجداد.

والدرس الخامس: أن الشعب الفلسطيني لا يقبل بتحسين شروط حياته الاقتصادية بديلا لحيته وعودته واستقلاله, حيث اعتقد البعض في سنوات ما بعد أوسلو وقيام السلطة وتحسن الوضع الاقتصادي نسبيا أن هذا كفيلا وضمان لمنع اندلاع انتفاضة جديدة أو مقاومة للاحتلال وقد فشل هذا الرهان والاعتقاد .

والدرس السادس: أن الشعب الفلسطيني عندما يقرر بإرادته الحرة أن ينتفض فلا ينتظر إذن او قرار من أحد او من القيادة الرسمية وهذا ما حصل في الانتفاضة الاولى والثانية حيث كان صاحب المبادرة وصانعها هو الشعب الفلسطيني.

الدرس السابع: أن الانتفاضة لا تنطلق لأن هذا القائد أو المسئول أو الفصيل يدعو لها. ولا تمنع لأن هذا القائد أو المسئول أو هذا الفصيل لا يريد. بل هي تأتي في سياق أو مناخ كالبركان من الصعب توقع ساعتها. ولهذا شكلت الانتفاضتين مفاجأة لأجهزة المخابرات الاسرائيلية وللقيادة الفلسطينية الرسمية وللمنطقة وللعالم. وشعبنا الفلسطيني يخزن تجربة نضالية غنية جدا ونادرة في هذا العصر. وبحسه النضالي والتاريخي يحدد اللحظة المناسبة في كل مرة ويقرر الوسائل والأساليب المناسبة .

والدرس الثامن: أن الاحتلال مهما بلغت قوته يمكن مقاومته وتوجيه ضربات موجعة ومؤثرة له في حال استهداف نقاط ضعفه وجنب نقاط قوته.

والدرس التاسع : أن المقاومة يجب أن تتركز في الأراضي المحتلة عام 1967 كما نصت على ذلك وثيقة الأسرى للوفاق الوطني.

والدرس العاشر: إن الوحدة الوطنية هي سياق الانتفاضات والمقاومة والثورة. وان التوافق الوطني على برنامج نضالي وسياسي هو أساس النجاح وتحقيق الاهداف. وضرورة وجود جبهة مقاومة موحدة لها قيادة سياسية وعسكرية موحدة.

والدرس الحادي عشر: أن القدس ومقدساتها تسكن عميقا في قلوب وعقول ووجدان الفلسطينيين جميعا وأن فلسطين تعني القدس. وأن

القدس جوهرة فلسطين ودرة المدائن وتاج رأس الأمة العربية والإسلامية والمساس بمقدساتها وبها كفيل بإشعال النيران. فلا مساومة على القدس وحريتها وسيادتها وأن الفلسطينيين مستعدون لبذل التضحيات والإستشهاد في سبيل القدس ومقدساتها بلا حدود.

والدرس الثاني عشر: أن المقاومة أمر في غاية الجدية وأن خوضها يحتاج إلى استعداد كبير وعمل مخطط ومدروس وتوفير مستلزمات النجاح وأن انتصارها أمر ممكن إذا توفرت جملة من الشروط وفي مقدمتها الامكانيات وشموليتها والقيادة السياسية والعسكرية الموحدة والأهداف التكتيكية والإستراتيجية المحددة ودرجة عالية من العمل الإستخباري والتكتم والسرية.

والدرس الثالث عشر: أن ضرورة توفير الدعم العربي والإسلامي والاحتضان الرسمي والشعبي للانتفاضة والمقاومة أمر مهم جدا وكذلك مساندة الرأي العام المحلي والعالمي والمجتمع الدولي إذا أمكن.

ما الفرق بين الانتفاضتين؟

الانتفاضتين جمعهما هدف مشترك وهو الحرية والعودة والاستقلال وعدو مشترك هو الاحتلال الاسرائيلي. كما جمعهما أنهما انطلقتا بإرادة الشعب الفلسطيني وبمشاركة الشعب بكافة قواه وأفراده وفصائله. وكلاهما اندلعتا عشية تحولات دولية أو خلالهما وقعت أحداث دولية كبرى ففي خلال الانتفاضة الاولى انتهى نظام القطبين في العالم ونشأ نظام عالمي تقوده وتسيطر عليه الولايات المتحدة الامريكية. وفي السنة الأولى للانتفاضة الثانية وقعت أحداث 11 ايلول في امريكا وبدأت امريكا حرب عالمية صغيرة وكلا الحادثين الدوليين أثرا على الانتفاضة الاولى والثانية. كما وقعت أحداث اقليمية كبرى في الانتفاضتين أبرزها الغزو والاحتلال

العراقي للكوييت والحرب على العراق وغزوه في الثانية وسادت حالة الانقسام في العالم العربي.

والانتفاضة الاولى أدت إلى انحسار الاحتلال عن جزء بسيط من الضفة الغربية وإقامة سلطة وطنية. والانتفاضة الثانية أدت إلى جلاء الاحتلال والمستوطنين عن قطاع غزة وهي المرة الأولى التي تزيل فيها اسرائيل مستوطنات من الاراضي الفلسطينية المحتلة منذ بداية الغزو الاستيطاني الصهيوني لفلسطين. والانتفاضة الاولى وقعت في ظل احتلال مطلق للأراضي الفلسطينية بينما الثانية وقعت في ظل وجود سلطة وطنية فلسطينية. والانتفاضة الاولى استخدمت وسائل النضال الشعبي بينما الثانية استخدمت في مرحلة متقدمة المقاومة المسلحة. وكانت اسرائيل اكثر وحشية ودموية في الانتفاضة الثانية وشنت حربا شاملة عسكرية وعدوانية على الانتفاضة وفي الاولى نسبة الشهداء الى عدد القتلى الاسرائيليين كانت 25 شهيد مقابل كل قتيل اسرائيلي. أما في الثانية فكانت نسبة 4-1 وهو فارق كبير جدا ومهم ونسبة الخسائر الاقتصادية في الاولى والثانية كانت كبيرة في الجانبين وبخاصة في الجانب الفلسطيني. وفي الثانية شلت حركة الاستيطان في السنوات الثلاث الاولى منها وفي الاولى انتهت بإقامة سلطة وطنية واتفاق اسلو وفي الثانية بجلاء الاحتلال عن قطاع غزة والإقرار الدولي بالدولة الفلسطينية المستقلة.

كذلك حظيت الانتفاضة الاولى بتعاطف دولي اكبر من الثانية. والاغتيالات الاسرائيلية كانت اوسع نطاقا في الثانية وأكثر خطورة واستهدفت عددا كبيرا من القيادات الفلسطينية البارزة مثل الرئيس ياسر عرفات والشيخ أحمد ياسين وأبو علي مصطفى ود. ثابت ثابت ود. عبد العزيز الرنتيسي ومئات من القيادات الميدانية والسياسية والعسكرية الاخرى. بينما في الانتفاضة الاولى تم اغتيال الشهيد أبو جهاد فقط من القيادات البارزة. كما أن حجم الدمار الذي احدثه الاحتلال كان أكبر في الثانية. والثانية

كانت أكبر مواجهة للشعب الفلسطيني على الارض الفلسطينية وأكثرها عنفا منذ النكبة عام 1948 وفي الثانية لعب الاعلام الفضائي دور مهم في متابعة الانتفاضة ونقل الاحداث مباشرة وأولا بأول للعالم بأسره. وفي الانتفاضة الاولى كان من المتعذر الحصول على السلاح وكان سلاح الانتفاضة الحجر ووسائل المقاومة الشعبية بينما في الانتفاضة الثانية امتلكت المقاومة اسلحة متواضعة ولكنها قادرة على ضرب الاحتلال وأصبحت المقاومة أكثر صلابة وأكثر خبرة وتجربة وقدرة. وفي الاولى شارك الشعب بكل فئاته بأشكال لا حصر ولا عد لها بينما في الثانية تراجعت المشاركة الشعبية بعد السنة الاولى من الانتفاضة وأخذت المقاومة المسلحة الدور الرئيس. والانتفاضة الاولى حظيت بإجماع من الفصائل والقيادات الفلسطينية ومن قيادة م.ت.ف ومن التيار الاسلامي الذي قاده حماس والتي ولدت مع ميلاد الانتفاضة الاولى. وفي الثانية خرجت أصوات ولو محدودة في القيادة الرسمية تنتقد الانتفاضة وتعارضها.

كيف ترى دور فلسطينيي الداخل في الانتفاضة الثانية؟

أعظم دور لفلسطينيي الداخل هو البقاء والصمود والحفاظ على الهوية الوطنية والقومية. وشعبنا في الداخل هو نموذج يحتذى به ومنه نتعلم الصمود والصبر والنضال. وقدم شعبنا في الداخل ثلاثة عشر شهيدا مع انطلاق الانتفاضة الثانية وقدم الجرحى والمعتقلين. ودوره في حماية القدس والمقدسات مشهود له وتضامنه مع شعبنا في الضفة والقطاع مثال وتعبير لانتمائه الأصيل باعتباره جزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني. ونحن نحترم ونقدر لشعبنا في الداخل دوره في كل المراحل وفي كل محطات النضال الوطني الفلسطيني. وقيادات شعبنا في الداخل وحركته الوطنية وأحزابه السياسية تتمتع بالخبرة والتجربة والنضوج. ويجب احترام إرادتها وقراراتها وخياراتها.

ومن الجدير بالذكر أن فلسطينيي ال- 48 قاوموا الحكم العسكري في الستينات وصنعوا يوم الأرض الخالد عام 1976 وقدموا التضحيات في كل مراحل النضال الفلسطيني بما في ذلك الأسرى والشهداء وما زال هناك قرابة ال- 150 أسير يقبعون في سجون الاحتلال.

البرنامج السياسي لحركة فتح الذي اعتمده المؤتمر السادس تبنى خيار المفاوضات والمقاومة بكل أشكالها في حال فشل المفاوضات. ولكن هناك آراء متفاوتة في داخل الحركة الآن. فهناك من يؤيد المقاومة السلمية كما يجري في بلعين ونعلين وغيرها ودعا إلى استمرارها وتصعيدها، و فقط هامش قليل يتحدث في غرف مغلقة عن مقاومة مسلحة. الكثيرون يقولون إنه في ظل الوضع القائم فإن المقاومة المسلحة ولي عهدا. إلى أي مدى تتفق مع هذا الرأي؟ وهل ترى أنه تم بالفعل تصعيد المقاومة السلمية؟

المقاومة هي روح حركة فتح. وكان لحركة فتح شرف إطلاق الرصاصة الأولى على هذا الإحتلال وأنا على ثقة أنها ستطلق الرصاصة الأخيرة عليه. والسواعد الفتاوية التي حملت البندقية على مدار سنوات طويلة والتي قدمت كواكبا من الشهداء والجرحى والأسرى ستظل وفيه لفلسطين والقدس وللشهداء ولبادئها ولهدف الحرية والعودة والاستقلال. وحركة فتح ستظل الأمل الكبير لشعبنا الذي سيحقق الدولة المستقلة كاملة السيادة بمشاركة كافة الفصائل والأحزاب والقوى والفعاليات. ونحن لا نقدر المقاومة والبندقية لذاتها. بل نقدر بلادنا المقدسة أصلاً وأهدافنا الوطنية الكبرى. ونحن كنا ولا زلنا نتمنى أن يتحقق السلام الدائم والعدل والشامل في المنطقة والذي بموجبه تنسحب إسرائيل من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عام 1967 بما في ذلك القدس والجولان وما تبقى من الأراضي اللبنانية وأن يتمكن شعبنا من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية وممارسة اللاجئين حقهم في العودة بموجب

القرار الدولي 194 وأن يتم اطلاق سراح شامل للأسرى. لكن الحقائق على الأرض هي غير ذلك ويجب أن لا نخدع أنفسنا أو شعبنا. ولذلك فإن حق المقاومة المشروعة للاحتلال بكافة الوسائل والأشكال والمركزة في الأراضي المحتلة عام 1967 لا مساومة عليه طالما بقي جندي أو مستوطن واحد على الأرض الفلسطينية المحتلة عام 1967. أما ممارسة الشكل المناسب من أشكال المقاومة فيجب أن يخضع إلى معيار تحقيق المصالح الوطنية العليا وقدرته على خدمتها في المرحلة والوقت المناسبين. وشعبنا يختزن تجربة نضالية عظيمة. ومارس كافة الأشكال السلمية وشبه السلمية والشعبية والمسلحة والانتفاضة والثورة وكافة الأشكال ويجب إختيار الأسلوب المناسب في الوقت المناسب وعدم الاستهانة بأي شكل أو أسلوب نضالي. فالانتفاضة الشعبية الأولى كانت نموذجاً عظيماً وحققت إنجازات كبيرة وكانت اسلوباً مناسباً وراقياً في تلك الظروف. والانتفاضة الثانية والمقاومة التي خاضتها كانت الأسلوب والشكل الأنسب في تلك الظروف. وممارسة المقاومة الشعبية الآن أمر جيد ومفيد وضروري على أن يتم توسيع دائرتها الجغرافية ودائرة المشاركة الشعبية فيها ورفع وتصعيد وتيرتها. وسيظل غياب القيادة الواحدة والموحدة للشعب الفلسطيني ثغرة كبيرة ينع القدرة على اختيار الأدوات المناسبة والأساليب لكل مرحلة. والعمل في ظل اجماع يخدم المصالح الوطنية أي كان الخيار.

بإختصار فإن القول إن المقاومة المسلحة ولى عهدا في ظل وجود الاحتلال وإستمرار تهويد القدس والاستيطان الذي يلتهم الأرض. وآلاف الأسرى والحصار والحواجز والتجويع والعدوان ورفض إسرائيل للسلام وشروطه الدولية. يصبح قولاً يفتقد للمسؤولية الوطنية واستسلاماً للاحتلال. والمقاومة المسلحة يولي عهدا عندما يولي عهد الاحتلال فقط.

مؤخراً شهدت الضفة الغربية انتعاشاً اقتصادياً وقد أعتبر الكثيرون أن الأرض الفلسطينية قد بدأت بالتعافي من آثار الانتفاضة الثانية على

الإقتصاد الفلسطيني، هل تتفق مع هذا الرأي؟.

مرة أخرى أقول إن الذي دمر الإقتصاد الفلسطيني هو الاحتلال والعدوان الوحشي الإسرائيلي الذي تعرضت له الأراضي الفلسطينية، والاحتلال هو الذي نهب المياه ويسيطر على مصادرها ويحرم الفلسطينيين من مياههم، والاحتلال هو الذي يمنع البناء في 70% من الأراضي الفلسطينية، والاحتلال من يضع الحواجز ويعيق الحركة ويسيطر على المعابر ويحاصر الشعب الفلسطيني في الضفة وغزة. وتحسن الوضع الاقتصادي أمر يثلج صدورنا وهو دليل على صمود شعبنا وعظمته، وهو دليل أنه عندما تخف حدة العدوان والحصار ولو قليلاً يحقق شعبنا الكثير ويبني ويعمر، ونحن نقول يداً تبني ويداً تقاوم، ويداً تضرب المحتل ويداً تعمر، ولا تعارض بين مقاومة الاحتلال وبناء الوطن وكلاهما يعزز الآخر مع الإشارة إلى أن التحسن الاقتصادي والتنمية يبقى في خطر طالما لم يتحقق الاستقلال الوطني، ولا يوجد تنمية حقيقية في غياب الاستقلال، ولا يمكن تحقيق الحد الأدنى من الاستقلال الاقتصادي قبل الاستقلال السياسي وإقامة الدولة المستقلة، ومرة أخرى ما حقق هو بفضل صمود شعبنا وعطائه وكفاح بناء الإقتصاد الوطني في القطاعين العام والخاص.

لماذا يتوجب على موظف اقترض من البنك لشراء شقة أوسيارة مستنداً إلى راتبه أن يؤيد انتفاضة جديدة قد تكون من شأنها أن تتسبب في انقطاع راتبه الذي يعتمد بشكل كبير على أموال المانحين الذين بدورهم قد لا يوفرون الدعم المادي في غياب الأفق السياسي؟

قبل الانتفاضة الأولى أشاعت أوساط اسرائيلية على نطاق واسع أن الأوضاع في الضفة والقطاع جيدة جداً من الناحية الاقتصادية، وأن تحسین الوضع الاقتصادي مؤشر هام على الاستقرار واستعداد الفلسطيني للتعايش مع الاحتلال، وكان أكثر من 140 الف عامل فلسطيني يعملون

في اسرائيل بما يشكل 40% من الدخل القومي الاجمالي. ولكن هذا لم يمنع اندلاع الانتفاضة الشعبية الأولى التي صنعها الشعب الفلسطيني بدمه وأرواح أبنائه وعرقهم ومعاناتهم وعذاباتهم. لأن الفلسطينيين يعتبروا الحرية والاستقلال الأولوية المقدسة بالنسبة لهم لأنه على قول السيد المسيح عليه السلام «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان» والشعب الفلسطيني صاحب قضية وطنية عادلة، وتعرض للعدوان وسلب الأرض والطرده والتهجير من بلاده. وهو يكافح منذ مائة عام، وتحسين الوضع الاقتصادي يعزز فرص الصمود ويقوي المقاومة وليس العكس. ويخطيء من يعتقد أن هنالك فلسطيني واحد يمكن أن يقاوم حرية فلسطين والسيادة على القدس مقابل شقة أو سيارة أو راتب أو مقابل كل الامتيازات في هذا العالم. وفي الإنتفاضتين شاركت جميع فئات الشعب الفلسطيني وتحملت كافة الفئات أعباء العدوان والاحتلال. وأظهر شعبنا حالة من التضامن والتكافل لا مثيل لها. و الرهان الاسرائيلي على أن تحسين الوضع الاقتصادي سيؤدي للخضوع أو الخنوع والتعايش مع الاحتلال هو رهان خاسر وأثبتت التجربة فشل هذا الرهان في الانتفاضتين. ومرة أخرى إن الشعب الفلسطيني يسعى إلى التحرر من الاحتلال وإقامة دولته المستقلة ويرفض التعايش معه. وعلاقته به هي علاقة صراع وليست علاقة تعايش أبداً. ولكن النضال الوطني والتحرري يمر في حالة مد وجزر وتتغير وسائل وأساليب النضال من مرحلة إلى أخرى طبقاً للظروف. ومرة أخرى أقول إن الفلسطينيين أعطوا فرصة للسلام ولكن السلام لم يتحقق. ونحن نسعى للحرية والاستقلال ولسنا هواة أو عشاق مقاومة أو انتفاضات ولكننا عشاق حرية وعودة واستقلال. ومن المؤسف أن المفاوضات خلال عشرين عام لم تصل بالفلسطينيين إلى شاطئ الحرية والإستقلال والعودة بسبب الموقف الإسرائيلي والإصرار على رفض الشروط والحد الأدنى للسلام.

كيف تقيّمون عملية بناء مؤسسات الدولة من قبل الحكومة الحالية وتأكيدات مؤسسات دولية بأن السلطة الفلسطينية أقرب ما تكون جهوزية لإقامة الدولة في حال استمرار الحكومة بوتيرة البناء الحالية؟

أعتقد أن ما أجزته حكومة د. سلام فياض في السنوات الأخيرة على صعيد بناء مؤسسات الدولة بمعايير الدولة الحديثة وبالمعايير الدولية. وتأکید التقارير الدولية وآخرها تقرير البنك الدولي على إنجازات الحكومة وعلى أن الفلسطينيين أكملوا كافة الاستعدادات لإقامة الدولة المستقلة. أمر يدعو للاعتزاز بالتأکید. مع الاشارة الهامة أن شعبنا مؤهل لبناء وإقامة الدولة منذ عشرات السنين. والذي كان ولا زال يحول دون ذلك ويضع العراقيل هو الاحتلال لأنه لا يمكن بناء حقيقي لمؤسسات الدولة أو إقامة الدولة إلا بزوال كامل للاحتلال. وتركيز الحكومة على البنية التحتية في كافة المجالات أمر مهم جداً. أمل بمضاعفة الدعم والاهتمام بمدينة القدس ومؤسساتها وكذلك للمناطق والأراضي التي تضررت من الجدار العنصري الإرهابي ودعم كافة التجمعات في هذه المناطق مع أهمية التركيز على دعم القطاعات المتضررة من الاحتلال والعدوان وبخاصة أسر الشهداء والجرحى والأسرى وأصحاب البيوت المدمرة والأراضي المصادرة وللعاطلين عن العمل ودعم صندوق الطالب الجامعي. كما يتوجب على الحكومة اتخاذ اجراءات لضغط النفقات التشغيلية وإجراءات تقشف جديدة في المؤسسات الحكومية.

كنتم من أبرز الداعين لمكافحة الفساد في مؤسسات السلطة الوطنية. هل أنتم راضون عن أداء السلطة في هذا المجال؟

بداية. أعتقد أن شعباً لا زال يناضل من أجل الحرية والاستقلال ويعيش تحت الاحتلال والحصار وأرضه تتعرض للمصادرة والاستيطان والآلاف من أبنائه لا زالوا في سجون الاحتلال. يستحق سلطة وطنية تتمتع بشروط الحكم الصالح وخالية من الفساد. فالفساد خطر على المجتمع والسلطة

والنضال الوطني. ومظاهره التي انتشرت في السنوات الماضية أساءت للسلطة الوطنية وللشعب الفلسطيني. ومن حسن الحظ أن الفترة الأخيرة شهدت خطوات من السلطة والحكومة باتجاه مكافحته وبخاصة إقرار قانون مكافحة الفساد والكسب غير المشروع وتشكيل الهيئة وانطلاق عملها. كذلك الاجراءات التي اتخذتها الحكومة بضغط النفقات وتفعيل الرقابة المالية ومعايير المحاسبة والمسائلة الدولية. وأملنا كبير أن تقوم هيئة مكافحة الفساد بالتحقيق في جرائم الفساد المالي. والإداري. والأمني. والسياسي في مؤسسات وأجهزة ووزارات السلطة الوطنية ومؤسسات م.ت.ف منذ اقامة السلطة الوطنية عام 1994 وحتى الآن. على أن يتم اتباع كافة الاجراءات القانونية وبشكل نزيه وشفاف دون محاباة أو تجني على أحد. ومن جهة أخرى فإن الفصائل الفلسطينية جميعا مدعوة لتفعيل مبادئ المسائلة والمحاسبة والرقابة ومكافحة الفساد لأن الأموال التي بحوزتها هي للشعب وتؤخذ باسمه ومن أجله.

الآن. وقد تم استئناف المفاوضات المباشرة مع الحكومة الاسرائيلية. هل ترى أفقا لحل سياسي؟ أخذاً بعين الاعتبار أن نتيما هو من اليمين الذي بدوره هو الأكثر قدرة- في ظل الوضع الاسرائيلي القائم- على التوصل الى حل يمكن تطبيقه بعد سلسلة اخفاقات مع اليسار الاسرائيلي الذي خشي الحل في اللحظات الاخيرة قبل الوصول اليه كما حصل مع براك. ومع الوسط كما حصل مع أولمرت؟

الحقيقة أن اسرائيل بمختلف تياراتها السياسية غير جادة في الوصول الى سلام حقيقي. والمجتمع الاسرائيلي حسب نتائج آخر استطلاع يرفض السلام ويرفض الانسحاب لحدود 1967. واليمين واليسار والوسط في اسرائيل يعيشون بعقلية الاحتلال ويمارسوه. منذ عشرات السنين وحتى الآن لم يظهر في اسرائيل حزب أو زعيم يعلن بصراحة الاستعداد للانسحاب لحدود 1967 بما في ذلك من القدس الشرقية المحتلة ويقبل بتنفيذ

قرار 194 الخاص بحق العودة للاجئين واطلاق سراح شامل للأسرى. ويعترف بحق شعبنا في دولة كاملة السيادة. ولا يوجد في اسرئيل لا ديغول ولا دي كليرك، وأية مفاوضات تجري مع الحكومة الاسرائيلية قبل التزامها بالمبادئ المذكورة لا جدوى منها.

الموضوع المركزي بالنسبة للإسرائيليين هو الأمن. فلماذا يتوجب على الإسرائيليين الاسراع في التوصل إلى اتفاق سلام طالما أن السلطة الفلسطينية توفر الأمن في الضفة وحماس توفر الأمن في غزة؟

إسرائيل تستخدم الأمن ذريعة ومبررا للعدوان والاحتلال والقتل والاعتقال والتدمير والأمن الاسرائيلي أكذوبة لابتزاز الفلسطينيين والعرب. والذي يشكل تهديد لأمن المنطقة هو السياسة الاسرائيلية والاحتلال هو أكبر تهديد وخطر على الأمن في المنطقة والعالم. وهي أول مرة في التاريخ يحدث أن تشترط فيها دولة الاحتلال على الشعب المحتل أن يوفر الأمن لإحتلالها! وهذه مأساة بحد ذاتها. عندما يكون هناك مقاومة مسلحة وعمليات أو انتفاضة درجت الحكومات الإسرائيلية على القول بأنها لن تفاوض حت التهديد. وعندما يكون تهديئة وهدنة أو هدوء تقول «ولماذا التفاوض وقد حقق الأمن لنا بدون أية مفاوضات أو تقديم شيء». إن إسرائيل أكبر مستفيد من حالة الانقسام الفلسطيني وتعثر جهود المصالحة الوطنية.

هل ترى أن اتفاقاً حول الحدود سيكون صعباً في المفاوضات الحالية خاصة ان ننتياهو يتبنى دولة الجدار الذي يلتهم 10% من مساحة الضفة الغربية في حين أن القيادة الفلسطينية تقترح تبادل 2% أما أولمرت فاقترح تبادل بنسبة 5.6% مما يعني أنه بالإمكان التوصل لتسوية بشأن تبادل الأراضي في حال وجود قرارات سياسية جريئة؟

المشكلة أن إسرائيل لم تأخذ قراراً إستراتيجياً بإنهاء الاحتلال والإسحاب لحدود 67 الأمر الذي يشكل الخطوة الأولى في طريق السلام. وإسرائيل تفاوض من أجل التفاوض وليس بهدف الوصول إلى تسوية سياسية شاملة. ولو كانت إسرائيل معنية بالسلام لاستجابت لمبادرة السلام العربية. المفاوضات التي لا تستند إلى أسس ومرجعيات واضحة في مقدمتها قرارات الشرعية الدولية. وفي غياب التزام إسرائيل مسبق بإنهاء الإحتلال والإسحاب إلى حدود 67. لن تثمر ولن تجدي وتستفيد منها إسرائيل فقط. ولا يجوز الدخول في بازار حول الحدود. على إسرائيل أن تنسحب إلى حدود 67 كما أنسحبت من سيناء ومن الأراضي الأردنية وتعهدت بالإسحاب الكامل من الجولان والأراضي اللبنانية. عليها أن تفعل الشيء نفسه مع الأراضي الفلسطينية وتبادل الأراضي وتعديل الحدود أمر مرفوض وبشكل مساس بالحقوق الوطنية الفلسطينية وهو محاولة إسرائيلية لتسريع المستوطنات التي أكدت عشرات القرارات الدولية بما فيها الصادرة عن مجلس الأمن ومحكمة لاهاي الدولية على عدم شرعيتها وضرورة زوالها ويجب التمسك مبدأ عدم شرعية المستوطنات وإزالتها كما زالت مستوطنة ياميت من سيناء وكما زالت مستوطنات قطاع غزة.

أي المواضيع أصعب برأيك ستكون في هذه المفاوضات؟

هذه المفاوضات مصيرها الفشل في ظل إصرار حكومة إسرائيل على رفض الانسحاب لحدود 67 بما في ذلك القدس الشرقية وعودة اللاجئين والإفراج عن الأسرى وإقامة دولة فلسطينية مستقلة. ومرة أخرى أقول إن التزام إسرائيل بالإسحاب إلى حدود 67 وإنهاء الإحتلال وحق العودة للاجئين مفتاح السلام والنجاح للمفاوضات. إسرائيل ترفض ذلك حتى الآن والدخول مع أي حكومة إسرائيلية لا تلتزم بهذه المبادئ لن يفيد. بل يلحق الضرر البالغ بالمصالح الفلسطينية.

هل ترى في الولايات المتحدة وسيطاً نزيهاً في المفاوضات؟

جوابي هو «هل ترى الولايات المتحدة في نفسها وسيطاً نزيهاً؟» ما أعرفه أن كافة الإدارات الأمريكية ترى في الولايات المتحدة حليفاً استراتيجياً لإسرائيل وانحيازها لإسرائيل لا يدنو إليه أي شك. فالإدارات الأمريكية المتعاقبة تؤكد صداقتها ووفاءها لإسرائيل كل صباح ومساءً. وما نطلبه من الإدارة الأمريكية ومن أمريكا بشكل عام أن تلتزم وتحترم قرارات الشرعية الدولية الخاصة بالصراع في الشرق الأوسط التي شاركت في صياغتها وإقرارها. وقد فشلت مفاوضات كامب ديفيد في تموز 2000 بسبب إنحياز الإدارة الأمريكية وتبنيها للمقترحات الإسرائيلية التي قدمها باراك. وعندما تقدمت بحلول وسط لاحقاً تبين أنها مقترحات إسرائيلية قبلت الإدارة الأمريكية لنفسها أن تقدمها بإسمها وهي إسرائيلية في الجوهر والمضمون. وإدارة بوش الابن انحازت بشكل كلي لسياسة اليمين المتطرف في إسرائيل وقدمت غطاءً للعدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني. ودعمت سياسة الاغتيالات بما فيه اغتيال ياسر عرفات. والإدارات الأمريكية تدبر أزمة وصراع الشرق الأوسط ولا تعمل على حلول صارمة مستندة للشرعية الدولية.

هل ما زلت ترى أملاً بالرئيس الأمريكي أوباما؟

أعتقد أن انتخاب أوباما رئيساً للولايات المتحدة دشن عهداً جديداً في تاريخ الولايات المتحدة وهو مؤشر على تعافي الشعب الأمريكي من التمييز العنصري. والرئيس أوباما لاقى ترحيب من العالم بأسره وشكل أملاً في تغيير سياسات الولايات المتحدة التي شكلت رئاسة و سياسة بوش الابن فيها مرحلة مظلمة. وخطاب أوباما في القاهرة شكل بداية مشجعة للمصالحة مع العالم العربي والاسلامي. والانسحاب من العراق خطوة في الاتجاه الصحيح. غير أن جهود أوباما على صعيد حل الصراع العربي

الاسرائيلي لم تثمر حتى الآن. وإذا استمر الرئيس اوباما بمحادثات اسرائيل ولم يمارس ضغطاً واضحاً لإلزام اسرائيل بالانسحاب لحدود 1967 وانتهاء الاحتلال فان جهوده سيكون مصيرها الفشل. إن المطلوب من الرئيس اوباما أن يتخذ قراراً إستراتيجياً بإلزام إسرائيل بإحترام قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة وإرادة المجتمع الدولي الداعية لإنهاء الاحتلال والانسحاب لحدود 67 وإقامة دولة فلسطينية مستقلة وكاملة السيادة. التصريحات الأمريكية التي تقول أن الحل يقرره الطرفان الإسرائيلي والفلسطيني في المفاوضات هو تبرير للسياسة الإسرائيلية ودعم لها. لأن أمريكا إذا أرادت النجاح فعلى أوباما أن يفعل مع نتنياهو ما فعله كارتر مع بيغن وما فعله بوش الأب مع شامير. وعلى الإدارة الأمريكية أن تدرك أن مفتاح المصالحة مع العالم الإسلامي والعربي ومفتاح الإستقرار في المنطقة هو إنهاء الاحتلال الإسرائيلي والانسحاب لحدود 1967 بما في ذلك القدس الشرقية وحق عودة اللاجئين والإفراج عن الأسرى. وأي محاولة للقفز عن هذه الحقوق سيقود إلى مزيد من الفشل.

ألا تعتقد أن المصالحة الفلسطينية الداخلية بات ميؤساً منها بعد مرور هذه السنوات من المبادرات الفاشلة والتوصل إلى الحل، إلى أي مدى تعتقد أن التدخلات الإقليمية والدولية حول دون تحقيق المصالحة؟

المصالحة فشلت بسبب غياب إرادة حقيقية للمصالحة ولأسباب ذاتية يضاف لها التدخلات الإقليمية والدولية. من المؤسف أن البعض بات يرى في الانقسام مصلحة له على قاعدة تقسيم حصص بين الضفة وغزة. وأعتقد أن حركة فتح أحسنت صنعاً عندما وقعت الوثيقة المصرية وعندما تبنت قبل ذلك وثيقة الأسرى للوفاق الوطني. وعلى حماس أن تتقدم بشجاعة للمصالحة الوطنية لأن المصالحة والوحدة الوطنية أهم من أية مصالح فئوية مؤقتة. ومن مصلحة المقاومة والمفاوضات تحقيق المصالحة والوحدة وبدونهما لن تثمر المقاومة ولا المفاوضات. أنا أؤمن بمبادرة

لجنة المصالحة الوطنية برئاسة السيد منيب المصري وأشكر الوفد على جهوده وأدعو كافة القوى الفلسطينية للتعاون مع وفد المصالحة ودعم جهوده. ومرة أخرى أقول إن الوحدة الوطنية هي ضرورة فلسطينية كالماء والهواء وإن الوحدة الوطنية هي قانون وطريق الإنتصار للشعوب المقهورة وحركات التحرر الوطني.

العديد من المؤسسات الفكرية والدولية تدعو إلى إنخراط حماس في العملية السياسية وعلى ما يبدو فإن هنالك اتصالات إستكشافية مع حماس، هل تؤيد ما يرفضه الكثيرون بإشراك حماس في العملية السياسية؟ وكيف يمكن إشراك حماس في العملية وهي ترفض الاعتراف بإسرائيل؟

حماس جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني ولها ثقل شعبي وانتخابي ونضالي وسياسي. وأنا أول من رفع ودعا وصاغ شعار «شركاء في الدم.. شركاء في القرار». وكان ذلك في الشهور الأولى لانتفاضة الأقصى وفي الانتخابات التشريعية رفعا شعار «شركاء في الميدان.. شركاء في البرلمان». ولكن من المؤسف أن حماس وجهت ضربة قاسية للشراكة بقرارها السيطرة بالقوة على قطاع غزة واستفرادها بالقطاع وإنهاء أول حكومة وحدة وطنية فلسطينية. وأعتقد أن هذا خطأ تاريخي ارتكبته حركة حماس وأضاعت فرصة تاريخية لتجسيد تجربة الشراكة السياسية من خلال حكومة الوحدة برئاستها. وأنا على يقين أنه لو قدر لتجربة حكومة الوحدة الوطنية الاستمرار والنجاح كانت ستسري أساس متين للشراكة في السلطة الوطنية. وكانت ستعزز فرصة بناء نظام سياسي وديمقراطي في فلسطين. ومع ذلك فإن الدرس المستفاد من تجربة الانقسام والانفراد بالسلطة بين فتح وحماس في الضفة والقطاع هو أن الشراكة ضرورة حيوية ومصلحة عليا لحماس وفتح ولشعبنا ولا بديل عن المصالحة والوحدة والشراكة على أساس ديمقراطي. وشعبنا لن يقبل سلطة كانتونات في

غزة والضفة بل يصر على وحدة الشعب والوطن والسلطة والقيادة وعلى الوحدة الوطنية والشراكة. والطريق الى الدولة المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس المحتلة يمر عبر المصالحة والوحدة والشراكة. وبطبيعة الحال أنا أؤيد بقوة إشراك حماس في العملية السياسية من خلال المبادئ التي أكدت عليها وثيقة الأسرى للوفاق الوطني أي تفويض (م.ت.ف) ورئيسها. رئيس السلطة الوطنية. بالتفاوض على أن يتم عرض أي اتفاق مصيري أو نهائي على المجلس الوطني الجديد أو الاستفتاء الشعبي. كما أن الوثيقة نصت بشكل واضح على أن هدف الشعب الفلسطيني هو اقامة دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس الشرقية على الاراضي المحتلة عام 1967.

هل ما زال لديك أمل بالإفراج عنك على الرغم أن مفاوضات تبادل الأسرى وصلت الى طريق مسدود والمفاوضات السياسية فشلت في إطلاق سراحك؟

أولاً. أنا على ثقة مطلقة بأن الاحتلال الاسرائيلي زائل لا محالة ومصيره إلى مزبلة التاريخ إلى جانب الفاشية والعنصرية والنازية والاستعمار وأن حريتنا مرتبطة بحرية شعبنا وأرضنا المقدسة. أما مفاوضات التبادل فسوف تصل أجلاً أم عاجلاً إلى اتفاق يؤدي للإفراج عن جميع الأسرى في القائمة غير منقوصة اسماً واحداً. أما المفاوضات السياسية فلن تنجح في الافراج عن الأسرى لأنها لم تحتل المكانة التي تستحق في ذهنية القيادة ووفدها المفاوضات ولا في جدول الأعمال وتم ترحيلها الى الحل النهائي. وهذه مأساة وكل حركات التحرر التي فاوضت اشترطت إطلاق سراح الاسرى في بداية المفاوضات خاصة أن المفاوضات مع اسرائيل مستمرة منذ عشرين عاماً. والآن تم استئناف المفاوضات دون اشتراط اطلاق سراح الاسرى وهذا أمر مؤسف.

تواصل الإدلاء بمواقف سياسية وبصراحة هناك في قيادة حركة (فتح) تحديداً من يقول أنه لا يجوز لمن هم في السجون الإسرائيلية الإدلاء بمواقف سياسية بسبب الأوضاع التي يعيشونها والتأثيرات النفسية للسجون الإسرائيلية على الأسرى. إلى حد أن البعض في حركة (فتح) يقول أنه لا يجوز لمن يفرج عنه من السجون أن يتولى مواقع قيادية. كيف ترى هذه المواقف؟

أنا لا أعتقد أن هنالك من يقول ذلك في حركة فتح وأشك في فتحاوية وفلسطينية من يردد هذا القول. والذي قاد التنظيم خلال عقود من الزمن هم كوادِر ومناضِلون وقيادات تعرضوا للاعتقال والتعذيب والتنكيل في سجون الاحتلال. ولا تخلو مجموعة أو لجنة من الخلية حتى اللجنة الحركية العليا في حركة فتح داخل الوطن إلا وغالبيتها أو عدد من أعضائها أسرى محررين. وهنالك عشرات آلاف الفتحاويين الذين لا تزال على أجسادهم سياط الاحتلال والتعذيب وهؤلاء وخلال ثلاثة وأربعين عاماً من الإحتلال والسجن والمطاردة لم يساوموا على إنتمائهم الوطني أو على مواقفهم أبداً. كما أن المؤتمر السادس أقر عضوية 255 أسير من كوادِر الحركة في السجون أعضاء في المؤتمر وخصص عضوية لهم في المجلس الثوري وأنا انتخبت لعضوية اللجنة المركزية لفتح بأغلبية ساحقة من أصوات المؤتمر. وتجدر الإشارة إلى أن الأسرى المحررين لعبوا دوراً مميّزاً في الانتفاضة الشعبية الأولى وكانوا في القيادة الموحدة واللجان الشعبية وفي لجان التنظيم والشبكية في القرى والمدن والحجيمات والجامعات والمدارس وفي كل مكان. ولا حاجة للتذكير أن نيلسون مانديلا كان في السجن وقاد تحرير جنوب إفريقيا وأصبح رئيساً لها. كما أن أحمد بن بيلا قاد الثورة الجزائرية وأصبح أول رئيس للجزائر وقضى سنوات في السجون. وكذلك قادة الجيش الجمهوري الإيرلندي وعشرات الأمثلة الأخرى. فكوادِر وقيادات حركة التحرير عادة إما شهداء أو أسرى أو مطاردين أو في المنافي. وقبل أربع سنوات فقط تمكنا نحن في قيادات الشعب الفلسطيني في السجون من صياغة وثيقة الأسرى

للوفاق الوطني التي وافقت عليها كافة الفصائل ومهدت الطريق لأول حكومة وحدة وطنية في تاريخ الفلسطينيين علماً أن قيادات الفصائل في الخارج والقيادة الفلسطينية عجزت عن الوصول إلى مثل هذه الوثيقة. وما يجري من حالة الإنقسام دليل على ذلك.

هل تعتقد أن القيادة الفلسطينية والسلطة والحكومة والفصائل يقومون بواجبهم تجاه الأسرى؟

قطعاً لا. و«لا» كبيرة. لأنهم لو قاموا بواجبهم لما كان هنالك آلاف الأسرى في سجون الاحتلال حتى الآن. ولما كان هنالك 130 أسيراً قضاوا أكثر من عشرين عاماً وعشرات أكثر من 25 عاماً وخمسة أسرى أكثر من ثلاثين عاماً وفي مقدمتهم عميد الأسرى نائل البرغوثي الذي دخل عامة الثالث والثلاثين وكذلك فخري البرغوثي وكرّم يونس وأكرم منصور وعثمان مصلح.

والمأساة بدأت في أوصلو التي لم تأت ولو بجملة واحدة على قضية الأسرى. كما أن عشرين عاماً من المفاوضات جَاهلت قضيةهم ولم تفلح في الإفراج الشامل عنهم.

والأسوأ من ذلك هو قبول القيادة الفلسطينية بترحيل قضية الأسرى الى مفاوضات ما يسمى بالحل النهائي وهذا خطأ فادح. لأن كافة الحكومات وحركات التحرر عندما فاوضت كان هناك اطلاق سراح للأسرى منذ البداية. خاصة أننا الآن بعد عشرين عاماً من انطلاق المفاوضات وليس بعد سنتين أو خمس سنوات. ففي جنوب افريقيا تم اطلاق سراح الآلاف مع بداية المفاوضات وكذلك في ايرلندا الشمالية وفي الجزائر وفي عشرات البلدان. وأنا أدعو القيادة الفلسطينية والفصائل الى التعامل بجدية واهتمام حقيقي مع هذه القضية الوطنية والسياسية والنضالية والانسانية

والتوقف عن الاستهتار والتجاهل الذي تتعرض له قضية الأسرى. وآمل أن يشهد عام 2011 تحرير الأسرى وأن يكون عام تحريرهم بشكل شامل. أما فيما يتعلق بالرعاية الاجتماعية للأسرى وعائلاتهم فإن السلطة والحكومة تقوم بجهود مقبولة. فهناك عشرات المحامين الذين يتابعون قضايا الأسرى وزيارتهم وتدفع الحكومة بشكل منتظم كالتين شهري للأسرى وتغطي تكاليف الأقساط الجامعية في الجامعة العبرية المفتوحة لمئات الأسرى وقررت الحكومة قبل أسابيع سلم رواتب جديد للأسرى أكثر أنصافاً من السابق ووعدت بتنفيذه والبدء بالعمل به في بداية العام القادم. ولأول مرة سيتم زيادة بل مضاعفة رواتب الأسرى منذ أكثر من عشرة أعوام. وهو خطوة في الاتجاه الصحيح.

إلا أن قضية الأسرى تبقى في جوهرها قضية حرية وليست قضية رواتب وكرانتين. فالأسرى هم مقاتلون من أجل حرية شعبهم ووطنهم وفي نفس الوقت ضحايا الاحتلال الاسرائيلي وعلى السلطة الفلسطينية والفصائل الفلسطينية مجتمعة أن تعمل على تحريرهم بشتى الطرق والوسائل وفي أسرع وقت ممكن.

لماذا رفضتم المفاوضات المباشرة وقلتم أنه محكوم عليها بالفشل. ألا تخشون من اتهام جديد للقيادة الفلسطينية بتفويت الفرصة كما جرى في مفاوضات كامب ديفيد؟

حتى يكون واضحاً. نحن لا نرفض مبدأ المفاوضات وقد قبلت به كافة الفصائل ونصت عليه وثيقة الأسرى للوفاق الوطني التي فوضت م.ت.ف ورئيس السلطة بالمفاوضات. شريطة عرض أي اتفاق مصيري على المجلس الوطني الجديد الذي تشارك فيه حماس والجهاد أو إجراء استفتاء شعبي. والمفاوضات مستمرة منذ عشرين عاماً ولا يجوز بعد هذه التجربة المريرة والفاشلة الاستمرار فيها بدون مراجعة جادة وشجاعة. ويجب أن نتعلم من هذه التجربة ونستخلص العبر والدروس. وأول هذه الدروس أن التفاوض دون

التزام اسرائيل بقرارات الشرعية الدولية وبمبدأ إنهاء الاحتلال والانسحاب لحدود 1967 بما في ذلك القدس المحتلة وحق اللاجئين بالعودة طبقاً للقرار الدولي 194 وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة واطلاق سراح شامل للأسرى. والوقف الشامل للاستيطان دون إلزام اسرائيل بهذه المبادئ. من الخطأ الفادح الجلوس على طاولة المفاوضات. هذا هو الدرس الأهم من تجربة العشرين عاما من المفاوضات التي لم تثمر عن شيء.

والدرس الثاني أن خلو اتفاق أوسلو من نص صريح و ضمانات واضحة لوقف الاستيطان ومصادرة الأراضي والتوسع الاستيطاني وتهويد القدس كان مأساوياً. وتجدر الإشارة هنا أن القائدين المرحومين فيصل الحسيني وحيدر عبد الشافي رفضا في مفاوضات واشنطن أي اتفاق لا ينص ولا يضمن الوقف الشامل للاستيطان وأي اتفاق لا يشمل القدس في المرحلة الانتقالية. والمفاوضات التي استأنفت في واشنطن تفتقد لشروط النجاح لأن الحكومة الاسرائيلية لم تلتزم بأي مبدأ أو شرط أو أساس أومرجعية. كما رفضت البناء على ما سبق من المفاوضات خلال السنوات الماضية. ومن الخطأ القبول بمفاوضات جديدة ومن نقطة الصفر. والأهم من كل هذا أن حكومة اسرائيل لم تلتزم بوقف الاستيطان بل تواصل تهويد القدس ومصادرة الاراضي وبناء المستوطنات وتوسيعها وتنشر أربعمئة وخمسين حاجزاً عسكرياً وتفرض حصارا ظالما على قطاع غزة. وتضع شروطا مسبقة لأي اتفاق. والحكومة الاسرائيلية تسعى للمفاوضات من أجل المفاوضات. وهذا بالنسبة لها يكفي لأنه يحررها ويخفف عنها الضغوط الدولية ويشكل غطاءا لسياستها العدوانية.